أسواق صنعاء القديمة .. مربع الحضارة والعراقة

الجزء الأخير

(قانون صنعاء) أول تنظيم للأسواق وسوق العرج يبرز الجانب الإنساني

سوق (الحلقة) وقصة أصحاب الفيل.. دلالة لقياس العمق التاريخي للأسواق

استطلاع/اسامة حسن ساري

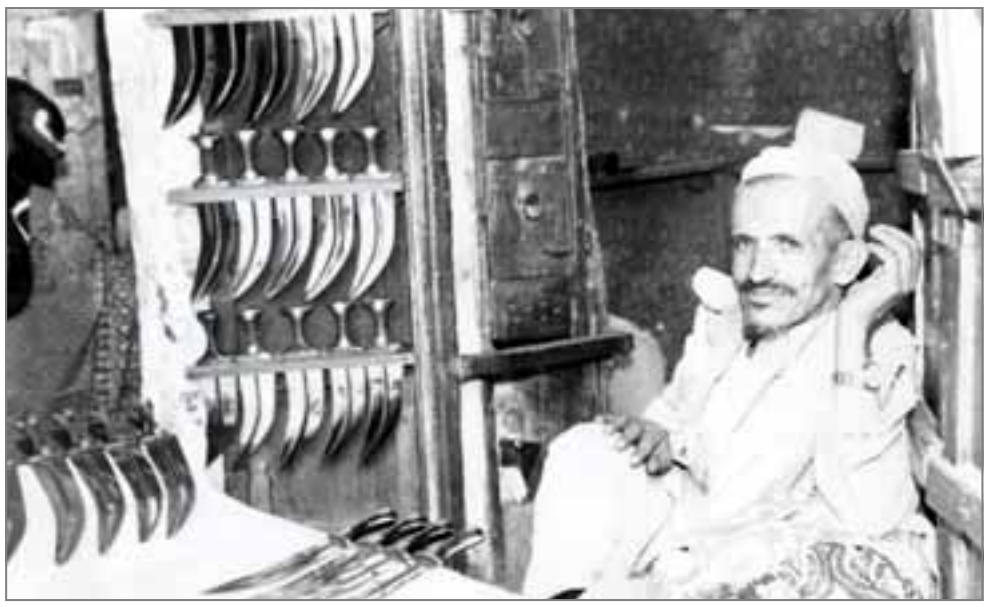

دخول الصناعات والتقنيات الحديثة جمد الحرفيين ولم يغير تخصصات السوق

علاقات التجار ببعضهم البعض ترقى إلى التآخي واحترام خصوصيات المهنة

□ الحلقة السابقة تناولت ملامح عن أسواق صنعاء القديمة واهميتها التاريخية ، وما اكتسبته تجارتها وانتاجاتها الحرفية من بعد دولي جعلها مركزا اقليميا للانتاج الحرفي.. ووقفت على عدد من الأسواق مثل النظارة والحب والمخلص والمنجارة والجلود والصرافة مستعرضة تصنيفاتها الثلاثة .. ودخلنا إلى أعماق الأسواق للتعرف على محتواها.. واستئنافا لهذه الجولة التاريخية تجيب هذه الحلقة على عدد من التساؤلات المثيرة .. ما هو سوق (العرج)؟ وما علاقته بقانون صنعاء الذي يعود عمره إلى ١٧٤٨م، والذي يتجلى فيه الجانب الانساني؟

كذلك سوق (الحلقة) .. من أين اكتسب اسمه؟.. وما هي قصة العطارين في سوق الحكماء؟.. وما إلى ذلك من الاطلالات على سوق الجنابي العسوب والنارجيلات .. فإلى هذه السطور التي تبرز العادات الحميدة في أسواق صنعاء القديمة وعلاقات تجارها ببعضهم البعض..

لأهميتها الاقليمية الكبيرة تجاريا وانتاجيا حظيت أسواق صنعاء القديمة باهتمام الباحثين والدارسين الاكاديميين والمهتمين التاريخيين والاقتصاديين .. وانجزت حولها عشرات الدراسات والأبحاث المتناولة للأعماق الدلالية الفنية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، سواء من حيث الموقع أو من حيث حركتها ونشاطها التجاري الذي امتد في مختلف الحقب التاريخية إلى العديد من الأقطار البعيدة..

أم كما تشير بعض الدراسات - من حيث الناحية الاجتماعية والدور التقليدي للأسواق ، حيث اعتبرت عاملا من عوامل دمج المهاجرين الريفيين في المجتمع الحضري ودوره التاريخي القديم..

والعودة إلى القرن الثامن عشر الميلادي تكشف لنا أن الصنعانيين اجتمعوا في هذه الأسواق القديمة ، وقرروا عدم مبايعة الإمام ، وعينوا أربعة مشائخ لادارة المدينة التي قسمت حينها إلى أربعة اقسام.. أما اليوم فالأسواق مكان مهم في لقاء الحضريين والريفيين والأجانب أيضا..

فرص عمل

● ومن الناحية الاقتصادية والاجتماعية ايضا كانت أسواق صنعاء القديمة عاملا هاما ومؤثرا في امتصاص البطالة وتشغيل الأيادي العاملة.. يتحدث الدكتور /فرانك ميرمين/ في دراسته حول أسواق صنعاء القديمة وعن اهميتها بالنسبة لصنعاء ذاتها قائلا: (ينحدر الكثير من الحرفيين والتجار من عوائل حضرية ، وتمثل الأسواق بالنسبة لهم مصدرا معيشيا من حيث انه يعينهم ماليا ويوفر لهم العمل ، وهذا النمط الاقتصادي الحضري يمثل عاملا مهما في بقاء عدد كبير من هذه العوائل في صنعاء القديمة .. ومنذ حوالي ١٥ سنة فإن كثيرا من المهاجرين الريفيين اصبحوا يكونون جزءا لابأس به من العاملين في السوق)..

● وقد وجدنا صعوبة في معرفة عدد الحرفيين والتجار العاملين في أسواق صنعاء القديمة، ولو حتى عدد تقريبي.. لكن من حديثنا مع بعض التجار عرفنا أن الدكان يعمل فيه اكثر من شخص بالتناوب لكل أفراد الأسرة الواحدة، بالاضافة إلى أن بعض الحرفيين والتجار لديهم اعمال ادارية أخرى غير التجارة في الأسواق ، وليس هذا فقط بل ان حركة هذه الأسواق وفرت فرص العمل للحمالين والموزعين..

٣ من ٥٤ حرفيا

● لكن تغير الاوضاع الحياتية ودخول الصناعات والتقنيات الحديثة وميل الناس إلى المستوردات ادت إلى تقليص نشاط الحرفيين والتجار في الأسواق القديمة ، مما دفعهم إلى ترك حرفهم والمتاجرة المستوردة..

● سوق السلب (الحبال) يدل على ذلك التراجع .. إذ كانت تعمل في سوق الحبال قرابة ٥٤ أسرة منتجة ، وهو من الأسواق الحرفية ويختص بصناعة الحبال المحلية .. ومادتها الخام هي شجرة (السلب) تشبه النخيل، وكثيرا ما تنمو في تهامة والمناطق الساحلية .. حيث يتم تقطيعها ودفنها في مجرى السيل لمدة عام كامل حتى تتآكل قشورها الخارجية، ويتحول جذعها إلى شعيرات يتم تنظيفها وتنقيتها من الشوائب العالقة بها.. وبعد التجفيف يقوم الحرفيون بتظفير هذه الشعيرات حتى تتماسك ، وتتفاوت سماكتها من حبل إلى آخر..

و٣-٤ حرفيين مازالوا يعملون في هذه الحرفة من بين ٥٤ أسرة .. كما يقول الأخ أحمد الهمداني عاقل سوق الحبال.. إذ انهيار الأبناء والناس ايضا بالحبال المستوردة من أفريقيا ومالوا إلى المتاجرة فيها .. حتى طغى المستورد على المنتج المحلي إذ غفلت الجهات المعنية عن كون المادة الخام لصناعة الحبال ثرية جدا في المناطق الساحلية اليمنية ، وبالامكان استعادة مجد هذه الحرفة بتوفير المكائن والتقنيات الحديثة لصناعة الحبال..

ومن المظاهر الجميلة التي تضفي على أسواق صنعاء القديمة شيئا من بساطة الماضي ممتزج بملامح العصرنة بشكل تنوعي رائع .. هو ما نلاحظه من طوائر وصناعات معدنية معلقة على أبواب وجدران بعض المحلات لتدلي وتتراوح بحرية .. ونشاهد ذلك في سوق (الحلقة)..

ولعل سوق (الحلقة) أكثرها عمقا في القدم لرجوع تسميته (الحلقة) إلى قصة تاريخية ، تقول أن رجلين من جيش ابرهة الحبشي (اصحاب الفيل) نجيا من حجارة الطيور الأبابيل التي ذكر الله تعالى قصتها في القرآن الكريم في سورة (الفيل) .. وفر الرجلان إلى صنعاء ، وعندما وصلا إلى المكان الذي يحتله السوق ، وقفا بحكيان لناس ما حل بأصحابهما (جيش أبرهة الحبشي).. وأثناء ذلك شاهدا طيرين محلقين فوقهما فرفعا رأسيهما إلى السماء وقالا (مثل هذين الطيرين فرماهما الطيران بحجرتي سجيل مات الرجلان على إثرها .. وتجمع حولهما الناس على شكل حلقة ..

وحكاية أخرى تقول أن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عندما جاء إلى صنعاء وبنى المسجد الذي يحمل اسمه ، وهو مشهور في صنعاء القديمة ، وقف خاطبا في الناس وهم متحلقون حوله ، فاتخذ السوق اسم (الحلقة) .. ولم يكن هناك سوق أصلا وإنما مجرد تجمع خيام تبسط وتتنقل..

الحلقة والمحدادة

● ويختص سوق الحلقة، كما حدثنا الحاج أحمد العروسي / حرفي يعمل في سوق المحدادة ببيع الأواني والمعدن .. وكانت المادة الخام سابقا محلية .. ويستغرق تصنيعها وقتا طويلا ، وكان العاملون في السوق يفكرون ويخترعون تشكيلات معدنية متنوعة وجميلة يهدونها للأمراء والملوك .. وتباع في السوق الادوات المنزلية التي تصنع محليا في تعز وعدن والحديدة ، وحاليا تباع فيه منتجات مصانع المعدن الموجودة في صنعاء..

بالإضافة إلى ذلك تباع في سوق الحلقة المنتجات التي تصنع في سوق المحدادة من أدوات زراعية وبعض مستلزمات البناء..

● وعن سوق المحدادة يتحدث الحاج العروسي كونه من أبرز الحدادين فيه قائلا:

في سوق المحدادة يعمل الكثير من الحرفيين المتخصصين في صناعة أدوات الحدادة ، داخل ٣٠ ورشة.. تصنع أدوات النجارة والبناء والأدوات الزراعية..

ويشير إلى أن سوق المحدادة يتكون من ثلاثة اقسام:

– القسم الأول مختص بصناعة السكاكين حيث يتم العمل التركيبات المعدنية لزوايا الأبواب الخشبية والشبابيك .. وصناعة المغالق الحديدة والمفاتيح .. وكان فيما سبق يصنع القفل الغثيمي..

– القسم الثاني يعمل فيه النبالون الذين يصنعون الأدوات الزراعية (أدوات الحراثة)..

– والقسم الثالث يعمل فيه النصالون ، المختصون في صناعة الجنابي ..

– كما تصنع في هذه السوق مختلف الأدوات المستخدمة في صناعة الجلود والنحت على الخشب والمناشير ، والتي تدخل في جميع الصناعات الحرفية اليمنية القديمة..

● لكن الملاحظ على هذه السوق أن الحرفيين توقفوا عن العمل تماما بسبب دخول الصناعات المستوردة التي سببت شللا لحركة السوق ولم يعد احد يهتم بتداول السلع التي ينتجها .. واضطر الكثير من العاملين إلى إغلاق محلاتهم..

المدر والمجسمات الجصية

● ومن أبرز أسواق صنعاء القديمة التي تجسد خصوصية التراث اليمني واصالته هو سوق (المدر) المتخصص في بيع الأواني الطينية ، المقالي الحرضية والصعدية وكانت من قبل تباع في هذا السوق الأواني الفخارية .. لكن حاليا لم تعد تباع فيه إلا المصنوعات الطينية (المدر) .. مثل (الكوز الخاص بتبريد الماء) والمقالي، والتنانير ، والمباخر المزخرفة بالألوان، والبرم التي يطبخ فيها اللحم) أيضا الأكواب (الحيسي) المصنوعة في حيس.. والمقالي (الحرض) تصنع في مديرية حرض /تهامة/ وهي حجرية ونحتها شاق جدا..

وقد توسع هذا السوق حاليا وصار ينتج صناعات أخرى /تذكارات/ كالمجسمات الجصية والطينية لمواقع تاريخية يمنية لها سوقها السياحي الرائج ، مثل عمل مجسمات لمدينة صنعاء القديمة، ولدار الحجر، ولجسر شهارة، ومواقع أثرية جميلة في حضرموت ومأرب والجوف..

● وسوق (البن) الذي مازال محافظا على أصالته ولم يتغير بفعل أي ظروف وكذلك سوق (الزبيب) الذي يحتل سمسرة اسمها (جمروك الزبيب)– وكما أخبرني بائع الزبيب محمد صالح سلام ، أن هذا المسمى للسمسرة قديم ومتوارث لايعرف له أصل أو تعليل ولاتحمل السمسرة اسما غيره ، وفيها يباع بكميات كبيرة الزبيب الرازقي والعاصمي والعرقي والأسود الذي يأتي من مزارع (بني حشيش) والزبيب البياض وهو أفضل أنواع الزبيب ويجلب من منطقة خولان ، ونادرا ما يأتي من صعدة زبيب أسود إلى هذا السوق رغم شهرتها بزراعة العنب..

القبقاب .. والهندباق

● والذي يمكن أن يلاحظه الجميع في الأسواق هو طغيان البز والاقمشة والملبوسات على ملامح السوق .. رغم أن هذه الاقمشة مستوردة، إلا أن سوق (البز) يظل عامل جذب للريفيين الذين يقتنون مستلزمات أغراسهم من دكاكينه.. وقد كان يشتهر بالمنتجات المحلية سابقا مثل قماش التترون الأصلي الأبيض والأسود، والكوافي، والقمصان، والجلابيات... لكن مع مرور الوقت توسع السوق وحلت المنتجات المستوردة محل المنتجات المحلية..

ولكن يظل سوق (البز) أكثر أسواق صنعاء عامة وليس القديمة فقط.. استقبالا لعشرات الريفيين يوميا إذ يلبي متطلبات أغراسهم لقناعتهم بمعروضاته دون غيرها..

ورغم أن محلاته ضيقة إلا أن كل محل يستطيع تلبية متطلبات الزواج كاملة، من أقمشة وملبوسات جاهزة وأدوات تجميل واكسسورات وعطورات، وروائح..

● من سوقي القماش (البز) يتفرع سوق الجلود .. وتجلب إليه جلود المواشي من مختلف مدن ومحافظات اليمن وخاصة من تهامة.. ولعل الميزة الرئيسية التي جعلت من أسواق صنعاء القديمة مركزا هاما لمختلف الحرف والتجارات هو أهلها التجار والحرفيون الذين اشتهروا بالصناعة والانتاج والقدرة على التعامل بمهارة فريدة مع مختلف الحرف والابتكارات والإبداعات..

وفي سوق الجلود فئة من الناس مختصون في دباغة الجلود وتوزيعها على محلات السوق، وفئة أخرى تصنع من هذه الجلود صناعات محلية جميلة وأنيقة، وقد كانت متميزة في صناعة الأحذية مثل (القبقاب) يصنع من الجلد والربل /المطاط المتماسك/ .. كما يصنع المسبات (الهندباق) القديمة التي تستخدم للماء والأغراض الشخصية ، وأيضا صناعة الكمرات للمسافرين والحجاج ، وصناعة السروج واللجامات للجمال والخيول وغيرها من الدواب.

كما دخلت الصناعات الجلدية في الكوافي (القبعات) ، وهي نوع من الكوافي كانت موجودة في صنعاء ، تضع لها إطار /حاشية/ من الجلد ومنقوشة بالجلد نقشا يدويا وهناك أناس متفننون في هذا الجانب..

أيضا أسواق أخرى على سوق (العسوب) الذي ربطته علاقة وطيدة بسوق الجلود، حيث يتم تغطية العسيب بالجلد.. سواء كانت التغطية كلية كالعسيب (الماربي) ذي الجلد الأحمر أو الابيض ، أو كان الجلد عبارة عن خيوط رفيعة مظفورة، ومطلية بالصباغ الأخضر ، كالعسيب (الصنعاني) ..

● الأهم من ذلك أن سوق الجلود انتج اهم وابرز الحاكتات الشعبية التي يتمنى اقتناءها كل فرد في المجتمع اليمني . كونها قوية ودافئة للغاية في الأيام والليالي الباردة مثل (الفرو) المصنوع من جلود الماعز (والكرك) المصنوع من جلود الضأن.

العطارون .. والنارجيلات

● ربما علينا الحديث عن سوق (المعطارة) المتفرع من سوق الجنابي والجلود والبهارات لتشكل هندستها مجتمعة مربعا مترابطا..

● الحاج /لطف العطاب/ في سوق المعطارة ، أرجع سبب التسمية إلى طبيعة تخصص هذا السوق في بيع الروائح ، والعطور المستخرجة من الأعشاب الطبيعية والبخور بأنواعه والعود والعنبر..

إضافة إلى أن تجار السوق يطلق عليهم (العطارين) واشتهر سوق المعطارة باسم (سوق الحكماء لأن المرضى إلى قبل أعوام قريبة كانوا يلجأون إلى تجار هذا السوق الذين كانوا فقهاء وعلى إلمام بالطب العربي وطب الأعشاب .. لذا كان السوق في كثير من الأحيان يستخدم للتداوي وكان يباع في هذا السوق إلى جانب الوصفات الطبية العربية أنواع الشراب المستخلص من الفواكه وتستخدم كادوية طبيعية مثل قهوة العناب، وشراب مربى النعناع ، وماء الورد المأخوذ من أشجار البساتين المنتشرة في ضواحي صنعاء.

كما اشتهر السوق ببيع اللبان الذي اشتهرت به اليمن قديما إلى جانب الزعفران والروائح الجميلة التي كانت تصنع في صنعاء القديمة وفي بعض المناطق اليمنية وتجلب إلى هذا السوق..

والملاحظ على السوق الآن التركيز على موديلات العطورات الحديثة والروائح المستوردة ، إلا أنه لم يستغن عن المنتجات القديمة والمحلية ،، ويتبع كل محل في سوق المعطارة مخزن مركزي لخزن البضائع الكثيرة المستوردة والمنتجة محليا..

● (النارجيلات) المدائع .. كان لها ثلاثة أسواق لتصنيعها ، سوق المدائع الذي يصنع فيه هيكل المداعة، الصحن السفلي ، والحبة المملوءة بالماء وهي من ثمرة جوز الهند المجفف ، والقطب (الانبوب) المتصل بالمداعة ، وهو من أخشاب شجرة البرقوق كونها تتحمل حرارة النار.. وما يلزم القطب من زخارف نحاسية ونقوش تمنح المداعة مظهرا رائعا ومغريا..

وسوق القصيب (الخراطيم) لصناعة خرطوم المداعة (النارجيلة) وتصنع بوضع ثلاث طبقات من الجلد وتغطيتها بالصوف ثم يضاف الجر مقاس ١٦، ويسمى (النميم) ثم تضاف الخيوط التي تعمل على تماسك هذه الطبقات وتثبيتها .. وفي طرفي الخرطوم توضع المشارب وهي أيضا من شجرة البرقوق..

– والثالث هو سوق الخراطة والذي يتولى خراطة وثقب المشارب والأنابيب (قطب) المداعة..

● الاخ نبيل عبدالله مزراح يجيد صناعة المدائع ولديه محل بيع المدائع ، قال: إن هذه الحرفة فقدت مكانتها في السوق ، وتحولت محلات بيع المدائع إلى محلات للفضة والأقمشة..

مشيرا إلى أن أقدم أنواع المدائع هي (الحبشوشي) وتفن في صناعتها اليهود.. وتليها في المرتبة المدائع (المنيباري) ويبلغ سعرها حوالي خمسين ألف ريال.. ومداعة يطلق عليها (الذمارية) تشغل بيت الذماري ، ومداعة (عدني) صناعة عدنية (عدن) ومدائع هندية تسمى (مخاوي) إشارة إلى مجيئها عبر ميناء المخا..

الجنابي والعسوب

● وأكثر أسوق صنعاء القديمة شهرة وأهمية هي سوق الجنابي (الخنجر) وسوق العسوب (العمد) والأحزمة .. وذلك كون الجنبية رمزا مهما للمجتمع اليمني عامة ويرتبط بالرجولة .. بل ولها دلالات على المراكز الاجتماعية للمواطنين ، وعلى الغنى والفقير .. وهي تحفة ثمينة انفرد اليمنيون منذ القدم بصناعتها فهي موروث حضاري عريق ومدهش .. ومجد الجنبية هو شهر رمضان والمناسبات الدينية كالأعياد ، والمناسبات الأخرى كالأعراس ، وهذا فيما يتعلق بعواصم المحافظات الرئيسية .. أما الأرياف فيعتبرون الخروج إلى الشارع بدون جنبية وصمة وتقليل من شأن الفرد وأسرته..

● في سوقي الجنابي والعسوب تحدثنا إلى الاخ شعلان الجباري/ بائع في سوق الجنابي .. وقال: إن سوق الجنابي والعسوب مستويات ، وهناك جنابي وعسوب عادية ورخيصة ، وهناك مستوى وسطي ، وهناك مستوى رفيع وغال خاص بالأثرياء والمقتدرين.. وفي كل الأحوال فإن السوق يلبي كافة طلبات المواطنين.. والقيمة المادية والفنية للجنبية تكمن في نوع المادة المصنوع منها الجنبية والعسيب.. مثلا الجنابي الأصلية والنادرة وهي التي تصنع مقابض خناجرها من سن الفيل أو من قرن وحيد القرن.. وتطعم بحروف الذهب والفضة .. وبقتنيها الأثرياء..

كما أن هناك جنابي تصنع مقابضها من قرون البقر والماعز واحيانا من الخشب وهذه يقتنيها البسطاء..

وعن النصلة (الخنجر) يقول شعلان: إنها تصنع خارج صنعاء في رداع وغيرها من المناطق اليمنية.. والبعض يصنعها في سوق الجنابي وكانت من قبل تصنع في سوق المحدادة ، والنصلة المتميزة هي المصنوعة من الحديد الصلب كجنازير المدرعات .. وهناك نصلات عادية ليس لها أي قيمة يشتريها ذوو الدخل المحدود..

● أما العسيب (الغمد والحزام) فإن للغمد عدة أنواع ، ربما لكل نوع دلالات انتمائية مناطقية أو عشائرية .. وهي من صميم التراث اليمني .. مثل العسيب الصنعاني (الأخضر) والماربي (الأبيض) والمسيلق (أبيض متوج بثلاث ظفائر جلدية حمراء) والتوزة (ذات صدر فضي) .. هناك أيضا عسوب ذات صدور نحاسية مطلية بالذهب واللازورد..

وبالنسبة للأحزمة منها ما هو تراثي ويطلق عليها (التزجة) مصنوعة من السيم الفضي وتتدلى منها الجيشيات والحروز والمحافظ (الكتاب) وكلها مشغولات فضية.. ومعظم مواد تصنيع العسوب محلية وقليلها مستورد.

الحرفيون يتفننون في إبداع تشكيلات نقوشات الأحزمة ، كانت الأحزمة سابقا تصنع من الجلود وتطرز بالسيم الفضي او الأحمر او الأصفر أو الذهبي، والحزام المذهب لايستطيع شراؤه إلا أصحاب الثروات .. وقد طغت على سوق العسوب حاليا الأحزمة المستوردة..

العرج

● وكما أن أسواق صنعاء القديمة تميزت وتفردت في التجارة والانتاجات الحرفية .. فإنها أيضا تميزت على كافة أسواق العالم العربي والاوروبي بكونها سجلت أعظم المواقف الانسانية والأخلاقية وجسدتها بروح مبدئية عظيمة ومتواضعة وذات قيم حميدة..

من ذلك مسالة يسمونها (البدا) أي أول البيع، كان أصحاب المحلات متكاتفين ويحترمون بعضهم البعض .. صاحب المحل الذي يبيع أولا ، يرفض البيع ثانية لأي زبون آخر ، ويرسله إلى المحل المجاور ، وتتكرر نفس المواقف حتى يبيع أصحاب المحلات جميعا حتى يتمكن كل واحد منهم من الحصول على قوت يومه لأسرته..

وكان من النادر بيع المنتجات والأجهزة المستوردة كالتلفزيونات وغيرها في الأسواق القديمة .. وإنما بنيت لها محلات خارج أسوار صنعاء القديمة.. مما جعل علاقات التجار قائمة على الأخوة والتراحم والاحترام ولايتطفل تاجر على مهنة أو تجارة يتخصص فيها الآخر..

وذلك احتراما لـ(قانون صنعاء) الذي صدر عام ١٧٤٨م .. حسبما تؤكده ترجمات (الموسوعة اليمنية).. وهو قانون جعل التجارة ممارسة أخلاقية لاربحية فقط .. وكما قالت بعض الدراسات التاريخية (إذا كانت المساومة جزءا من مفهوم البيع والشراء في العالم العربي ، فإنها في أسواق صنعاء القديمة غير موجودة وهذا من فضائل المدينة المحمودة)..

● وقانون صنعاء الذي فرض تلك المبادئ الاخلاقية وغرسها قيما سائدة في نفوس التجار والحرفيين.. لم يغفل الجانب الانساني ومسالة الرفق بالحيوان..

إذ تشير الروايات المتوارثة أن (قانون صنعاء) سجل جزءا من أموال الوقف لرعاية واطعام الحيوانات والمواشي التي كانت تجلب إلى سوق (العرج)..

وسوق (العرج) اشتقت تسميته من كلمة (اعرج) والمفهوم الكلي لها هي (الإعاقة).. حيث كان تخصص هذا السوق في احتضان وبيع المواشي من أبقار وأغنام وماعز ، والهزيلة جدا، أو العرجاء أو المشوهة، وما شابه ذلك من المواشي المعاقة .. لذا أطلق على السوق اسم (سوق العرج)..

وقد راعى (قانون صنعاء) مسالة الرفق بالحيوان ونصت إحدى مواده على رعاية هذه المواشي في سوق (العرج) وشراء أعلافها ومداواتها ببطريا من أموال الوقف التي حدد القانون جزءا معينا منها لصالح هذا السوق..

قانون صنعاء

● مجلدات الموسوعة اليمنية الصادرة عن مؤسسة العفيف الثقافية اشارت إلى أجزاء من نصوص (قانون صنعاء) نقلا عن دراسة الباحث الفرنسي الدكتور /فرانك ميرمين/ مما يعطي اعتقادا عن عجز معدي الموسوعة وغيرهم كذلك عن ايجاد النسخة الأصلية من (قانون صنعاء) أو حتى صور منقولة منه وطباعتها كأثر تاريخي هام..

وأنقل هنا بالحرف الواحد جزءا مما ورد في الموسوعة عن(قانون صنعاء) ماخوذ من دراسة الباحث الفرنسي المشار إليه .. وذلك لغرض الاستفادة والإفادة.

● قالت الموسوعة:

– ويعد (قانون صنعاء) أول نص يعطينا مؤشرات مفصلة عن تنظيم إدارة المدينة والسوق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين)..

وقد حدد القانون ونظم ادارة السوق بتوصيف وظائف المشرفين على ادارته وحمايته وتنظيمه وجعلهم مراتب (كانت الوظيفة الرئيسية لشيخ مشائخ السوق ضبط الموازين والمكاييل ، وكان عليه التفتيش على كل سوق لفرض احترام القواعد الخاصة بالمكاييل .. وفي حال الغش كان الشخص المسؤول ، وشيخ السوق المعني، مسؤولين معا أمام شيخ المشائخ الذي يستطيع استدعاءهما إلى العامل /المسؤول الحكومي عن السوق/.

وهكذا كان كل سوق فضاء يمارس فيه أصحاب حرفة معينة نشاطا محددا تحت سلطة شيخ أو عاقل وتسمية الشيخ أكثر الكلمات استعمالا في (قانون صنعاء) في حين أن تسمية عاقل وحدها ماتزال مستعملة اليوم..

ويحدد القانون ايضا المسالة الأمنية للأسواق (شيخ الليل مسؤول عن حراسة الأسواق منذ الغروب ، وتحت مسؤوليته مجموعة من الحراس المسلحين (بالعصي) وكانوا فيما مضى يتمركزون في أبراج الحراسة المنتشرة على أسطح الدكاكين، أما اليوم فيتجولون في شوارع السوق .. وتمتد مسؤولية شيخ الليل من الغروب وحتى الفجر..

ويبقى عاقل الحرس في أكبر هذه الأبراج (الطيرمانة) للمراقبة ، وهي التي تشرف على أكثر الأسواق إزدهارا (سوق البز) ، ويقابل سمسرة محمد بن الحسن، والتي كان يستخدمها التجار لإيداع نقودهم وبضائعهم..

كما ينص القانون على أن الحمالين في سوق الحبوب وسوق الحطب ، يجب أن يحرسوا مداخل المدينة (الأبواب) وكذلك الفتحات الموجودة في السور لتصريف مياه الأمطار (السيول).

إشارة حمراء

● ويختتم الدكتور/ فرانك ميرمين/ دراسته البحثية حول أسواق صنعاء القديمة والتي نقلتها الموسوعة اليمنية.. قائلا:

● السوق استوعب جميع المتغيرات الكلية في المجتمع وعكسها على نحو عام دون أن يقلل من دوره الاقتصادي .. على الرغم من ظهور شوارع تجارية عديدة خارج سور المدينة القديمة..

وحافظ السوق على قوة جذب تتجاوز حدود المدينة، فإذا كان التوسع الحضري قد فجر مركزية المدينة القديمة التي كانت تعتمد على محور الأسواق والجامع الكبير ، فقد أعيد على نحو ما تعريف الوظائف ومكان السوق في التجمع الحضري ليكون هذا المحور مركز الثقافة التقليدية ، ومستودعا للبضائع الرخيصة ، وفضاء للتالف على الطريقة القديمة للمدينة، ومرجعا لجزء مهم من عملائه الريفيين..

● وهذه الحلقات في نهايتها تحلم أن تكون قد تناولت جزءا كبيرا وهاما من ملامح أسواق صنعاء القديمة ، تراثنا الحضاري الفني، ووقفت على بعض دلالاتها التاريخية العميقة .. تامل أيضا أن تكون إشارة حمراء تلفت نظر الجهات المعنية بالحفاظ على هذا التراث العظيم وحمايته من العبث فيه، والعمل على استعادة مجد منتجاته الحرفية وتحقيق التسويق اللازم لها تسويقا سياحيا داخليا وخارجيا..

تأملات

محمد العريقي

إسرائيل تزداد شراسة والعرب أكثر رقة

● "لكل زمان دولة ورجال" – كما تشير هذه المقولة– ومن زمان إلى زمان يقل رد الفعل عند العرب ويروضون أنفسهم على تقبل النكسات والهزائم "والمرمطة" حتى اصبحوا يصحوا وينياموا على مشاهد جثث العشرات من ضحاياهم التي تسقط برصاص اعدائهم ، وتطور الأمر إلى أن تصبح مناظر أجساد رموزهم النضالية تتناثر على الأرصفة وفي عجين السيارات التي تصطادها صواريخ الطائرات الاسرائيلية من الأمور العادية.

الآن يطلق شارون تهديده الواضح والصريح بالإقدام على اغتيال الرئيس الفلسطيني المناضل ياسر عرفات .. وهو مطمئن أن المرحلة التصعيدية في عدوانه يقابلها استرخاء كامل في الأصوات والأفعال العربية، وأنه ممكن ينفذ أي شيء يريده ضد العرب عموماً والفلسطينيين خصوصاً دون أن تهتز أي ورقة بياض في الكون.

فزمان الندية في المواقف ورفع الأيدي في مجلس الأمن ولى ولن يعود.

وزمان تحريك الجيوش العربية قرب حدودها المواجهة لاسرائيل ليس له وجود.

وزمان الهيجان والهتافات العربية .. ورفع المتشنجين على الأعناق المحرضين للحرب والمقاومة تلاشى من الشارع العربي وحتى من ورق الصحف.

وهكذا تتطور اسرائيل في عدوانها وتزداد شراسة .. بينما يتطور العرب ويظهرون أكثر نعومة في رد الفعل والاحتجاج وسيأتي اليوم الذي ينظمون مسيرات احتجاجية ليس فيها أي شعارات ولن يحرقون الإعلام وربما سيكتفون بحمل الشموع والورود والبالونات الملونة .. وفرق الرقص.. حتى يظهروا للعالم أنهم تطوروا وسيقفون وقفة رجل واحد ضد من يحمل شعاراً أو يحرق علم إسرائيل حتى لا تلصق تهمة الإرهاب على المنطقة العربية!!.

الشكر لشارون

نبيل نعمان

● زعماء العالم مدينون بالشكر لرئيس الوزراء الإسرائيلي ارئيل شارون هكذا برر الرئيس الأمريكي جورج بوش تأييده لتحركات شارون المريبة التي حصل بموجبها على ضمانات خطية من بوش ووصف ذلك انتصاراً كبيراً لإسرائيل منذ ١٩٤٨أي عام النكبة وقيام مايسمى بدولة إسرائيل.

هكذا تبادلا بوش وشارون عبارات الثناء بعد الصفقة الأخيرة التي قوضت أحد اركان القضية الفلسطينية وهو حق عودة اللاجئين .. ولما لايقول بوش بان شارون يستحق الشكر من المجتمع الدولي بعد أن وصفه في زيارة سابقة بأنه رجل سلام.. فهو يعود بعد كل زيارة لواشنطن أكثر عدوانية ودموية وكثرة زياراته إلى البيت الأبيض «أكثر من عشر مرات خلال ٣ سنوات » زادت جرائمة بحق الفلسطينيين واغتيالاته التي بات يشرف عليها بنفسه.

عادة نتحدث عن انحياز أمريكي لإسرائيل يمنحها العطاء ويشجعها للتمادي في جرائمها .. فماذا سنقول الآن بعد أن وصل الأمر بالجانبين إلى حد الاستهتار بالموقف العربي ان كان له وجود أو صدى والامذا يعني أن يقوم رئيس دولة الولايات المتحدة بالغاء قرار دولي ويطالب بعد ذلك بان يقدم الشكر لشارون لأنه سيبقي مستوطناته في الضفة الغربية بعد إخلاء بضعاً منها في غزة لكنه يبقي على احتلال الأجواء والمعابر والمياه.

ولم يتأخر شارون كثيراً برد الجميل لسيد البيت الأبيض والتعبير عن امتنانه لموقفه هذا وسارع بإعلان تنصله من تعهد يقول أنه قطعه لبوش بعدم تصفية الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات جسدياً وهو إعلان ليس جديداً فقد صدرت مثل هذه التهديدات أكثر من مرة ونفذها أكثر من مرة دون أن تقابل هذه الممارسات الإسرائيلية بتحرك جاد من المجتمع الدولي لوقفها كونها إرهاب دولة مع سبق الاصرار والترصد ولايمكن السكوت عنها.

منذ أكثر من ثلاث سنوات يتواصل الإرهاب الإسرائيلي بحق الفلسطينيين ويتصاعد بوتيرة عالية حتى بات يهدد المنطقة بشكل عام واقل مايقال عن هذه التصرفات انها تسمم المنطقة كما قال الاخضر الإبراهيمي مبعوث الأمم المتحدة في العراق مؤخراً وإذا ما استمرت هذه الممارسات فان القادم سيكون فضيعاً وغير مسبوق فكل الدلائل تشير إلى ذلك وعلى الأمة العربية ان تتحسب لكافة الاحتمالات وتضع مصالح شعوبها فوق كل احتمال لأن الخطر يحيق بالجميع.